الفصل الثانى

مظاهر أمانة التداول

التداول والتجارة من أقدم المهن وأكثرها شيوعا في الجزيرة العربية ، لذلك جاءت الضوابط الشرعية المستمدة من أحاديث الرسول ﷺ ، على نحو شامل دقيق ، لا يكاد يدع أسلوباً شائعاً في التبادل التجاري إلا ويضع له من معايير الحق والعدل ، ما يحفظ لكل طرف حقه في أمانة التعامل .

وسيتناول هذا البحث عرض الجوانب التالية ، والتى تعد من أهم القيم المؤثرة في التداول وممارسة النشاط التجاري ، مع إلحاق كل جانب منها بأثره في جزاء الآخرة ، من حيث الثواب أو العقاب.

أولاً: إخلاص النصح للمتعاملين.

ثانياً: الصدق في التجارة والمعاملات الاقتصادية.

ثالثاً: السماحة في المعاملات.

رابعاً: التعاون.

خامساً: الوفاء.

١ ـ الوفاء بالعهد والمواثيق والعقود.

٢ ـ قضاء الدين وأداء حقوق الآخرين.

وفيما يلي عرض مفصل لكل من تلك الجوانب :

أولاً: إخلاص النصح للمتعاملين :

التواصي بالحق والتواصي بالصبر من السمات الإيمانية الهامة التى يتجنب بها المسلم الخسران والخسرة يوم القيامة ، وقد أقسم الله ﷻ على ذلك في كتابه الكريم ، حيث قال :

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ [العصر ١-٣].

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بصفة عامة ، من المسئوليات العامة لكل مسلم تجاه الآخرين ، والأمة الإسلامية فى عمومها تتحمل مسئولية البلاغ عن الله ورسوله ، امتثالا لأمر الله ﷻ

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٤].

وهذا النصح يعتبر معيار تفضيل هذه الأمة على من سواها

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[آل عمران: ١١٠].

وقد جاء التوجيه النبوي المبارك ، منبها إلى أهمية النصح على نحو لم يشهده أى توجيه آخر ، حيث جعل النصيحة هى صميم الدين .

وتأكيداً لأهمية النصح في الإسلام. وعلى غير عادة الرسول في أحاديثه - إلا القليل منها - كرر الرسول ﷺ التنبيه على موقع النصيحة ، حيث جاء:

عن أبي هريرة ﷺ عنْ رسُول اللّه ﷺ قال: «إن الدّين النّصيحةُ إنّ الدّين النّصيحةُ إنّ الدّين النّصيحةُ» قالُوا: لمن يا رسُول اللّه؟ قال: «للّه ولكتابه ولرسُوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم»[1].

وكانت النصيحة من أهم أركان المبايعة بين الرسول والصحابة، حيث:

قال جرير بايعت النّبيّ ﷺ على السمع والطاعة وأن أنصح لكلّ مسلم[2].

والنصح يشكل ضرورة إيمانية في التداول بين كل من المنتجين والمستهلكين ، والبائعين والمشترين ، والمنتجين والمستثمرين . والعاملين وأصحاب الأعمال .. وغير ذلك من متبادلي المنافع والسلع والخدمات .

ومواقف النصح الواجب على المسلم في التداول والتعامل التجاري. يختلف عن مفهوم الإغواء الإعلاني بإضفاء مزايا وهمية على السلع ، وإدعاء مواصفات غير حقيقية وصلاحيات مخالفة لواقع استعمال تلك السلع

١) حديث مرفوع متصل رواه النسائى فى سننه – كتاب البيعة – باب النصيحة للامام

٢) حديث مرفوع متصل رواه النسائى فى سننه – كتاب البيعة – باب البيعة على النصح لكل مسلم

وقد ضرب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم المثل الرائع في الحرص على مناصحة العملاء ، حتى وإن أدى ذلك إلى عدم إنجاز الصفقة ، ففي الأثر:

عَنْ يزيْد بْن أبي مَالك قَال: حدّثنا أبو سباع قال: اشْتَرَيْتُ ناقَةً منْ دَار واثلَةَ بْن الأسْقع فلمّا خَرَجْتُ بهَا أدْرَكَنَا وَاثلَةُ وهُوَ يجرُّ رداءهُ فقال ياعبد اللّه اشْتَرَيْتَ قُلْتُ نَعمْ قَالَ هَلْ بَيَّن لَك ما فيهَا قُلْتُ ومَا فيهَا قَالَ إنَّهَا لَسَمينَةٌ ظاهرةُ الصّحَة قال: فَقال أَرَدْت بها سفَرًا أَمْ أَرَدْت بها لَحْمًا، قُلْتُ: بَلْ أَرَدْتُ عَليْها الْحجَّ قَالَ: فإنّ بخُفّها نقْبًا قال: فَقَال صاحبُهَا أَصْلَحَكَ اللّهُ أيْ هَذَا تُفْسدُ عَليَّ، قَالَ: إنّي سمعْتُ رَسُول اللّه ﷺ يقول: «لا يحلُّ لأَحَد يَبيعُ شيْئًا إلاَّ يُبَيّنُ مَا فيه وَلا يَحلُّ لمَنْ يَعْلَمْ ذَلكَ إلاَّ يُبَيّنُهُ»[1].

ومروج السلعة بالكذب يتسم بقصر النظر ، ذلك أنه قد يخدع جمهور المتعاملين للحظة ، ولكن محال أن يستمر خداع المتعامل أو المستهلك إلى الأبد ، فما قد يقع فيه المستهلك اليوم ، محال أن يكرر خطأه فيه مره أخرى ، وأن يعيد شراء سلعة أثبتت التجارب العملية في مجال الواقع أنها أقل مستوى بكثير مما هو معلن عنها .

ومما يسترعى النظر أن تزييف الحقيقة وترك النصح ، من الأمور التى تستوجب عقاب الدنيا قبل عقاب الآخرة ، وما ذلك إلا لخطورة أثرها في التماسك الاجتماعي وحفظ الحقوق بين المتعاملين .

ففي حديث عَنِ الْحسن بْن مُحمّد بْن عليّ قال: حدّثتْني امْرأةٌ من الأَنْصار .... قالتْ: دخلْتُ على أُمّ سلمَةَ فدخل عليْها رسُولُ اللّه ﷺ وكأنّهُ غضْبانُ فاسْتترْتُ بكُمّ درْعي فتكلّم بكلام لمْ أفْهمْهُ فقُلْتُ: يا أُمَ الْمُؤْمنين كأنّي رأيْتُ رسُول اللّه ﷺ غضْبان، قالتْ: نعمْ، أَوما سمعْتيه قالتْ: قُلْتُ ومَا قال: قالتْ قال: «إنّ السّوء إذا فشا في الأَرْض فلمْ يُتناه عنْهُ أنْزل اللّهُ عزّ وجلّ بأْسهُ على أهْل الأرْض» قالت: قُلتُ يا رسُول اللّه وفيهم الصّالحُون؟ قال: «نعمْ وفيهم الصّالحُون يُصيبُهُمْ ما أصاب النّاس ثُم يقبضُهُم اللّهُ عزّ وجلّ إلى مغْفرته ورحْمته أوْ إلى رحمته ومغْفرته »[2].

ومن بين موجبات اللعن من الله ﷻ على بنى إسرائيل ، عدم حرصهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، كما جاء في قول الله ﷻ

---

١) حديث مرفوع متصل رواه أحمد فى مسنده – كتاب مسند المكيين – باب حديث واثلة بن الأسقع من الشاميين.

٢) حديث مرفوع منقطع رواه أحمد فى مسنده – كتاب من مسند القبائل – باب حديث إمرأة من الأنصار.

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾[المائدة: ٧٨].

وحذر الرسول ﷺ من سوء العاقبة للمتغافلين عن أمانة النصح في الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حيث جاء

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»[1].

ثانياً: الصدق في التجارة والمعاملات الاقتصادية :

الحرص على الصدق عامة والتناهى عن الكذب والنفاق ، من الفضائل الإسلامية العامة، التى جاء بها أكثر من توجيه في الكتاب والسنة، ووصف الله ﷻ الصادقين بالتقوى ، وبشرهم بحسن العاقبة، حيث قال الله سبحانه جل شأنه:

﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]

وجاء في ذكر ثواب الصادقين ، قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٣٥]

ويلقن القرآن الكريم المؤمنين بدعاء مبارك ، يرسخ في النفس خاصية الصدق ، بقول الله ﷻ :

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾[الإسراء: ٨٠].

---

١) حديث مرفوع متصل رواه الترمذى فى سننه – كتاب باقى مسند الأنصار – باب حديث حذيفة بن اليمان